الحملات العسكرية الفرنسية على الصحراء الجزائرية 1845-1854م

French military campaigns in the Algerian Sahara, 1845-1854

الأستاذ الدكتور: غرداوي نور الدين
جـامعة الجزائر 2 - أبو القـاسم سعد الله

- تـاريخ الإرسال	- تـاريخ القبول	- تـاريخ النشر
2025/06/03	2024/06/19	2025/07/05

- الملخص:	- Summary:
ابتليت الجزائر بأبشع نوع من الاستعمار الأوربي الحديث، الذي استعمل كل الأساليب والطرق للهيمنة على الشعب الجزائري وطمس المقومات الوطنية (اللغة، الدين، العادات والتقاليد...)، فعمل على تجهيل وتفقير المواطن الجزائري، وقام بحرمانه من المشاركة في حكم وتسيير بلاده.. الخ ، وتجلى ذلك من خلال سياسته الاستعمارية في السنوات الأولى من الاحتلال (1830-1840)، ركّز الاستعمار	Algeria suffered from the worst kind of modern European colonialism, which used all means and methods to dominate the Algerian people and erase their national identity (language, religion, customs and traditions, etc.). It worked to keep Algerian citizens ignorant and impoverished, and deprived them of participation in the governance and administration of their country. This was evident in

الفرنسي خلالها على تثبيت وجوده بالجزائر، من خلال إحكام السيطرة على المناطق الساحلية وإخضاعها إلى سلطته العسكرية، رغم المقاومة الوطنية الباسلة التي أبلاها الشعب الجزائري في وجه الاحتلال الفرنسي- ما بين (1830-1847).

وبعد تمكنه من السيطرة على المناطق الساحلية وجّه الاستعمار الفرنسي- أنظاره نحو المناطق الجنوبية للجزائر، وتجسد هذا التوجه القبيح بالتوغل نحو أعماق الجزائر، بمحاولاته العسكرية المتكررة للسيطرة على الجنوب الجزائري من خلال مشاريع عديدة، كان من بينها المشاريع العسكرية الاستطلاعية، التي كانت تهدف إلى السيطرة على كامل التراب الوطني، واكتشاف خيراته في جزئه الجنوبي، واستثمارها لخدمة مصالحه في الجزائر وفي أوربا.

وبالعودة إلى المصادر التاريخية التي تناولت بداية الاهتمام الفرنسي بالجنوب الجزائري، وقفت على ثلاثة مصادر فرنسية هامة تناولت الموضوع على اعتبار أنها فاعلة في هذه الحملات العسكرية

its colonial policy in the early years of the occupation (**1830**-**1840**), during which French colonialism focused on establishing its presence in Algeria by tightening its control over the coastal regions and subjecting them to its military authority, despite the valiant national resistance of the Algerian people against French occupation between **1830** and **1847**.

After gaining control of the coastal areas, French colonialism turned its attention to the southern regions of Algeria. This ugly trend manifested itself in the form of incursions into the interior of Algeria, with repeated military attempts to control southern Algeria through numerous projects, including military reconnaissance projects aimed at controlling the entire national territory, discovering its resources in the southern part, and exploiting them to serve its interests in Algeria and Europe. Returning to historical sources that address the beginning of French

الاستطلاعية الاستكشافية ما بين (**1845-1854**م). يأتي في مقدّمتها كتاب: "الصحراء الجزائرية" للمشير دوك دي دوماس". وكتاب: "حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية" لمؤلفه "فليكس جاكو"، وكتاب: "الفرنسيون في الصحراء – يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية" للعقيد ترومليي". فما هي طبيعة هذه الحملات؟ وما هي المادة التاريخية التي تمنحها لنا هذه المصادر الثلاثة حول بداية الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية؟ وكيف نظر الفرنسيون إلى الصحراء الجزائرية خلال هذه الفترة؟ وما هي الأساليب والوسائل التي انتهجتها الادارة الفرنسية في تواجدها بالصحراء الجزائرية؟ وكيف واجه الشعب الجزائري هذا التواجد وتلك الآليات؟ وما هي آثارها على المجتمع الجزائري؟	interest in southern Algeria, I found three important French sources that address the subject, considering that they were active in these exploratory military campaigns between **1845** and **1854**. First among these is the book 'The Algerian Desert' by Marshal Duc de Dumas. The second is the book 'General Caffiniac's Campaign in the Algerian Desert' by Félix Jacot, and the third is the book 'The French in the Desert – Diary of a Campaign on the Algerian Desert Border' by Colonel Tromley. What was the nature of these campaigns? What historical information do these three sources provide us with about the beginning of French interest in the Algerian Sahara? How did the French view the Algerian Sahara during this period? What methods and means did the French administration employ during its presence in the Algerian Sahara? How did the Algerian people respond to this presence and these mechanisms? What were their effects on Algerian society?

- Keywords:	- الكلمات المفتاحية:
French colonialism; Algerian Sahara; national resistance; Sufism; military campaigns.	الاستعمار الفرنسي؛ الصحراء الجزائرية؛ المقاومة الوطنية؛ التصوف؛ الحملات العسكرية.

- مقدمة

قبل الحديث عن الحملات العسكرية الفرنسية على الصحراء الجزائرية **(1845-1854)** من خلال ثلاثة مصادر فرنسية نحاول في عجالة التعريف بالمصادر الثلاثة، التي نستخرج منها هذا البحث والدراسة.

1- التعريف بكتاب "الصحراء الجزائرية" ومؤلفه المشير دوك دي دوماس:[1]

تعتبر سنة **1837**م بداية التوغل الفرنسي في الصحراء الجزائرية من خلال تأسيس لجنة الاكتشاف العلمي بالجزائر، التي بدأت عملها سنة **1840**م، شملت هذه اللجنة العديد من التخصصات، منها: (الآثار، الجغرافيا، الطوبوغرافيا، الهندسة المعمارية، الفيزياء... الخ).[2]

الملاحظ على هذه اللجنة أن أغلب أعضائها عسكريون، كان الهدف منها أن يذهب علماؤها إلى الجزائر لمدة محدودة، ويكتب كل واحد حصيلة جولته، وتنشر بعدها على نفقة السلطات الفرنسية، أعطيت اللجنة مهلة عامين ونصف لإنجاز أعمالها، لذلك كان عليها تقديم أعمالها في حدود سنة **1842**م.[3]

ولتحقيق هذه الاستراتيجية في الصحراء الجزائرية، بعثت الإدارة الاستعمارية الفرنسية حملات عسكرية استطلاعية استكشافية للصحراء الجزائرية، كانت بدايتها بعثات لجنة الاكتشاف العلمي بالجزائر، وتلتها بعثة دوك دي توماس إلى ورقلة.

من هو دوك دي دوماس؟ وما هو الدور الذي قام به في الصحراء الجزائرية؟

-التعريف بالكاتب (المشير دوك دي دوماس)

هو جوزيف أوجين دوماس، ولد في **14** جويلية **1803**م، بمدينة ديلموت بسويسرا، التحق بالخدمة العسكرية في سن التاسعة عشر أين التحق بالجزائر سنة **1835**م، ضمن الفرقة الثانية لإفريقيا، ودأب على تعلّم اللغة العربية التي أتقنها بسرعة وبسهولة فائقة.[4]

وإثر التوقيع على معاهدة التافنة في **20** ماي **1837**م عيّن قنصلا لدى الأمير عبد القادر، واستقر في مدينة معسكر مدة سنتين، حيث عمّق معارفه حول البنية الاجتماعية للغرب الجزائري، ونظام الدولة الذي وضعه الأمير عبد القادر، وكان على اتصال بليون روش.[5] حيث نبّهه لاستغلال نفوذه مع الأمير عبد القادر لأداء واجبه والقيام بمهمته خدمة لوطنه، وبعد نفي الأمير إلى فرنسا أسندت له مهمة مرافقته قبل التعليق على كتابه الذي ألفه حول خيول الصحراء. [6]

وفي سنة **1841**م عيّنه الجنرال بيجو مسؤولا عن المكاتب العربية، وفي سنة **1850**م عيّن على رأس مصلحة الجزائر في وزارة الحربية، وأصبح مديرا للشؤون الجزائرية ومستشارا للدولة الفرنسية ونائبا في مجلس شيوخها سنة **1852**.[7]

- التعريف بالكتاب

خلال ممارسته لمهامه في الجزائر وضع نظاما جماعيا لجمع معلومات دقيقة عن الشعب الجزائري، مما سمح له بتطوير كتاباته التي جاءت بطريقة تحليلية، التي من بينها كتابه: "الصحراء الجزائرية" أو الصحراء الكبرى، الذي ألفه سنة **1845**م، حاول التجوال بنا في ربوع صحرائنا الشاسعة بجهتيها الشرقية والغربية من خلال معرفة لأهم الأماكن والطرق والقبائل والقصور والجبال، ومن أهم هذه المعالم

نذكر: الطريق من الجزائر العاصمة إلى ورقلة، عبر قصر الحيران، بني يزقن، مدوكال، قبيلة الدرايد، جبل ساهري، العالية، مقاطعة سوف.

الطريق من الجزائر العاصمة إلى عين صالح، الاتجاه العام من الشمال إلى الجنوب الغربي مشرية، قبيلة الهماين، دائرة توات، متللي، التوارق... الخ.

كما أبرز هذا الكتاب عادات وتقاليد سكان الصحراء الجزائرية وديانتهم، وذكر أن معرفتهم لجنوب الجزائر سيفتح لهم الأبواب على مصرعيها أمام تجارة المستعمرات الفرنسية نحو أعماق القارة الإفريقية.

كتابه حول الصحراء الجزائرية لم يظهر بصورة انفرادية تلقائية، بل جاء بعد الاطلاع المكثف على مختلف الكتابات التي ألفت عن الجزائر، التي منحته ثراء معرفيا عن المجتمع الجزائري، ومما زاد رغبته في الكتابة التقاؤه بسيدي الحاج محمد من قبائل الشعانبة بمتليلي أثناء إشرافه على إدارة مكتب الشؤون العربية، أيضا تعاون هذا الأخير مع دوماس ومنحه تقريرا مفصلا عن الرحلة التي قام بها إلى بلاد السودان بمقابل مالي قدر بـ: **400** دورو، أي ما يعادل **2000** فرنك فرنسي.

كان هذا الغرض حسب دوماس يعني الكثير لفرنسا التي دفعت مبالغ طائلة مقابل الحصول على خدمات أقل أهمية لمشروعها الاستعماري، الذي عبّر عنه دوماس بقوله: "أن سيد الحاج محمد يعتبر هذه الرحلة الرهيبة في اعتقاده مجرد نزهة..." نظرا لما تنطوي عليه من أهداف خفية كلّها تصب في قالب خدمة فرنسا الاستعمارية.[8]

انتقد في مقدمة كتابه "الصحراء الجزائرية" الآراء التي ترى بأنه ليس من الضروري السيطرة على منطقتي الجزائر وتوسيع الاحتلال إلى آخر نقطة من البلد الذي يوجد به السكان، بقوله: ونحن نؤكد على

ذلك[9] أي على ضرورة الاهتمام وتوسيع الاحتلال إلى آخر نقطة من البلد (الجزائر).

وهذا على ما يبدو ما يظنه الذين يجعلون من هذه الضرورة المحتملة حاجزا لإنهاء الاحتلال هو السيطرة بقوة على التل وعلى الممرات الأساسية التي هي أبواب الصحراء.[10]

وذكر بأن هذا الكتاب هو ترتيب للمستندات التي جمعناها خلال سنتين من ضمن **2000** عربي على الأقل (مسافرون، حجاج، تجار) وذلك بمتابعتهم خطوة خطوة عبر الصحراء، توقفنا معهم بكل مكان، أين كانت هناك دراسة جغرافية ينبغي القيام بها، واحة يجب زيارتها، قرية يجب وصفها، معلومات يجب جمعها حول التجارة والعادات، الصناعة، السكان، المدن أو الرحالة، اللذين سافروا نحوها.[11]

وهكذا حصلنا على خريطة شبكة الطرقات التي تغطي الصحراء الجزائرية، التي كلها تلتقي بنقاط أساسية، وهذا الكتاب عرض تاريخي لذلك.[12]

كما نجده قسّم الصحراء الجزائرية إلى قسمين كبيرين في كتابه هذا، قسم شرقي وقسم غربي، وكان اعتماده في هذا التقسيم على طبع سكان الشرق وسكان الغرب، فسكان الغرب لهم طابع فلاحي محض، وسكان الشرق لهم طابع حربي صرف، والخط الكبير بين الجزائر العاصمة وورقلة الذي يفصل ممتلكاتنا بإفريقيا والصحراء الجزائرية إلى جزأين يكادان يتساويان، فإن هذا الخط يحدّد التمييز، الذي وضعناه وسوف يكون نقطة بدايتنا.[13]

وكما أشار إلى أهمية كتابه في المرحلة القادمة بقوله: "... فسوف يأتي اليوم دون شك وليس ببعيد أين يكون الكل سيكونون سعداء، وبهذا نكون قد سهلنا لهم الإمكانيات يستطيعون أن يروا بأعينهم ما لم نستطيع نحن بأعين الآخرين، ويستطيعون تصحيح الأخطاء، التي أكيد

أنها خدعتنا في إرادتنا الفذة، لكن أكيد أيضا أن العمل الذي أنجزناه سوف يكون لمدة طويلة أيضا ذا أهمية تعليمية لتنفيذه".[14]

2- التعريف بكتاب "حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية" لمؤلفه فليكس جاكو

تعد حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية من بين الحملات الاستكشافية والاستطلاعية، التي جاءت بتكليف من المؤسسة العسكرية الفرنسية، هو عبارة عن رحلة هامة بدأت من تلمسان باتجاه الضاية ثم إلى منطقة الغور ثم عين الصفراء إلى أن وصل إلى واحات توات مرورا بواحة عسلة ما بين سنتي (**1847-1848**م).

بينما الحملة العسكرية التي تحدث عنها صاحب الكتاب فجرت خلال شهري أفريل وماي سنة **1847**م، وهي جزء من الرحلة السالفة الذكر.

استثمرت هذه الحملة العسكرية الاستطلاعية الاستكشافية ما قدّمته لجنة الاكتشاف العلمي بالجزائر، التي بدأت عملها سنة **1840**م، وكتاب "الصحراء الجزائرية" للمشير دوك دي دوماس، الذي قدّم معلومات متنوعة ودقيقة عن الصحراء الجزائرية.

من هو كافنياك؟ وما هو الدور الذي قام به في الصحراء الجزائرية؟

- التعريف بصاحب الحملة (لويس أوجين كافينياك)

هو عسكري وسياسي فرنسي، ولد بتاريخ **15** تشرين الأول **1802**م في باريس، وتوفي بتاريخ **28** تشرين الأول **1857** في قصره، قصر أورن الموجود في فليه التابعة لسارت في منطقة بييه دلا لوار. كان حاكما للجزائر عام **1848**، ثم رئيسا لمجلس الوزراء الفرنسي عام **1848**م،

ترشح للانتخابات الرئاسية في نفس العام، إلا أنه خسر أمام لويس نابليون الثالث.

انخرط في المؤسسة العسكرية للهندسة، بعدما أتم تعليمه برتبة ملازم ثاني في الفوج الثاني من المهندسين العسكريين، ثم رقي إلى رتبة ملازم عام **1826**م، وخدم في بعثة موريا بين عامي **1828**، **1829**، أثناء حرب الاستقلال اليونانية.

يعتبر من بين الضباط الأوائل الذين انضموا إلى الثورة في فرنسا ضد مملكة بوربون، ورقي سنة **1830** إلى رتبة ملازم، لكن تم تسريحه من الخدمة الفعلية نتيجة معارضته المعلنة للجمهورية، وفي سنة **1832** تم استدعاؤه للخدمة وإرساله للجزائر.[15]

ساهم تكوينه ونشاطه العسكري مدة ستة عشر سنة إلى بروزه في الساحة السياسية والعسكرية الفرنسية، فحظي بتمييز خاص في قيادته التي استمرت خمسة عشر شهرا لحماية تلمسان المكشوفة، وكان ذلك من قبل المارشال برتراند كلاوسل، وفي عام **1844** طلب هنري دورليان (Henri d'Orléans) دوق دومال (Daumale) ترقية كافينياك إلى رتبة مارشال ديكامب. وتم ذلك في نفس العام، وتولى قيادة مقاطعات مختلفة في الجزائر حتى عام **1848**م.[16]

- التعريف بمؤلف الكتاب (الدكتور فليكس جاكو)

طبيب عسكري فرنسي، ولد سنة **1819**، عمل في الصحة العسكرية في الجيش الفرنسي بالجزائر، ثم أستاذا مجازا في تخصص الأمراض المعدية، كما شغل محررا في مجلة (Gazette) الطبية بباريس. توفي سنة **1857**م، شارك إلى جانب الجنرال كافينياك في حملته على الصحراء الجزائرية سنة **1947**م جراح مساعد في الفرقة الخامسة للمشاة.[17]

- التعريف بالكتاب (حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية)

يتناول الكتاب حملة الجنرال كافينياك التي بدأت سنة **1847**م، التي كانت عبارة عن بعثة استطلاعية واستكشافية إلى الجنوب الغربي للجزائر، حيث استكشفت فيها جبال الاطلس الصحراوي، وقصور جنوب القطاع الوهراني وواحاته، وزار كل من: عسلة، مغرار التحتاني والفوقاني، وعين الصفراء.

هذه الأماكن مكنته من دراسة ووصف لأهم المظاهر الطبيعية، شطوط ومرتفعات. كما قام ايضا بتسجيل العديد من الرسومات والنقوش التي عثر عليها في كل من تيتو، مغراوة، التحتاني. وأثناء تواجد كافينياك قام بوصف قصور جنوب القطاع الوهراني والأطلس الكبير، كما يسميه هو ودعم كتابه برسومات لتلك القصور، وخريطة لمسالك رحلته.

لم تكن حملة الجنرال كافينياك مغامرة ترمي إلى الوصول إلى أبعد من سابقيه، بل كان هدفها التعرّف الشامل على جميع الأشياء ذات الأهمية، ولم يكن دافعه الفضول، بل حملته المتطلبات التجارية ومستقبل المستعمرة ومقتضيات الحرب إلى الخوض في تلك الحملة.[18]

لقد شنت حملات أخرى لنفس الغرض بالموازاة مع حملتنا سواء في منطقة الجزائر أو منطقة وهران، لكي تتم ضرب كافة النقاط في آن واحد ومنع السكان اللذين تم الهجوم عليهم من اللجوء إلى جيرانهم الذين لا زالوا في أمان.[19]

وتأمين الطرق التجارية، وذلك بالسيطرة على الصحراء الجزائرية التي كانت تهددها المقاومة المسلحة، وانصراف التجار إلى طريق المغرب الأقصى غربا وطريق تونس شرقا.[20]

انطلقت بعثة الجنرال كافينياك من تلمسان في افريل **1847** باتجاه الضايا (ضاية الفرد ببلدية العريشة بولاية تلمسان اليوم) لتتحول البعثة الى منطقة الغور(بولاية البيض اليوم) ثم توجهت في **5** ماي نحو عين الصفراء ثم السفيسفة (ما تعرف اليوم بالصفيصفية بولاية النعامة التي قاوم فيها اهلها كافينياك من خلال وضع الحجارة على شرفات القصر البنادق ليتوجه فيما بعد، إلى قرية سبدو التي وصلها يوم **21** ماي، وفي **16** أفريل بلغ الشط الشرقي، وهي منطقة فاصلة بين التل والصحراء.

وفي **22** أفريل **1847** شق طريقه نحو واحات توات، أعجب كافينياك بالصحراء الجزائرية، حيث قال: لا تعمر الصحراء أي مدينة تضاهي هذا القدر من التباين بين الحياة والموت وثراء التربة، والقحط المطلق.

تعرف كافنياك على مسالك الصحراء. فهو السباق من الاوربيين للوصول إليها. وحقّق لبلده فرنسا تنشيط التجارة بين المنطقة الجنوبية، وربطها بالبلدان المجاورة. كما وصف في رحلته جبال الهقار وسكان التوارق، وتطرق إلى لباسهم وعاداتهم وتقاليدهم وأسلحتهم وسكناهم، كما تكلّم عن أهم المدن وهي غات والأيير.

مؤلف الكتاب هو أحد مرافقي الجنرال كافينياك في حملته هذه على الصحراء الجزائرية، بعدما لاحظ اقبالا كبيرا من طرف القراء على المقال الذي نشره في صحيفة صدى وهران بعد عودتهم من الحملة العسكرية.

وفسّر هذا الإقبال لأسباب متعددة، منها ما تعلق بحب الاستكشاف وقلة المعلومات عنها، ومنها ما يتعلق بطبيعة المنطقة (شساعة المنطقة وصعوبة تضاريسها، جهل العالم الأوربي بالمنطقة، أهمية المنطقة التجارية نحو أعماق القارة الافريقية... الخ).

وعند حديثه عن هذه الحملة الاستكشافية الاستطلاعية يقول بأنها جاءت في ظروف مختلفة جدا، حيث أن الكراهية وانعدام الثقة من طرف القبائل الصحراوية حالت لفترة طويلة دون عودة المسافرين العزل إلى المناطق التي عبرناها، ولن تعود إليها طوابيرنا مجددا خلال سنين طوال إلاّ في حالة وقوع أحداث طارئة.

وأبرز أهمية الكتاب،[21] كما نجده بيّن أهداف الحملة، ولخّصها في الجانب الحربي، الجانب الحضاري، مصالح المستعمر والتجارة.[22]

وعن سبب تأليفه لهذا الكتاب وأهميته، قال: إن هذه الرواية لا تعتبر حاليا الوثيقة الوحيدة من نوعها فحسب، بل ستكون الوثيقة الوحيدة الموجودة خلال فترة طويلة.[23]

ويواصل حديثه عن سبب تأليف الكتاب وأهمته، فقال: فكرنا أن كتابنا هذا سيكون بمثابة دليل للطوابير ومختلف الجماعات التي ستزور المنطقة الغربية من الصحراء الجزائرية مستقبلا، وبذلنا أقصى جهدنا لكي يحتوي على الدلالات الطبوغرافية المفيدة، وأدق التفاصيل المتعلقة بالموارد النباتية والمراعي، كما ضبطنا بدقة المسافات الرابطة بين المراكز، وأكّدنا على مواقع وكميات ونوعية المياه.[24]

ألف الدكتور فيليكس جاكو رحلة دوّن فيها أخبار حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية، وقد رأى المؤلف أن رحلته تتضمن كشفا لمنطقة صحراوية جديدة، ومثيرة، وغريبة في أناسها وأشيائها، وتعريفا بمسالك لم يسبق لأوربي الوصول إليها من جهة، مثلما تقدم فائدة جليلة للفلاحين من المستوطنين، الذين هم في حاجة إلى ربط الصلة بالصحراء والصحراويين لتنشيط التجارة في المنطقة الجنوبية وما يليها من بلدان مجاورة، لأن الجنرال كافينياك اصطحب في حملته علماء ومتخصصين توصلوا حسبما أفاد به الرحالة فيليكس جاكو إلى جني فوائد عظيمة من هذه الرحلة رغم ما عانوه من خوف وتعب، وكان فيليكس مؤهلا بموضوعيته، وبخبرته التاريخية والتأليفية لجمع

المتفرقات من أحاسيس فرح وحزن واستغراب، تتولد عن مشاهدة الجديد، وملاحظات عن الطقس والمناخ، والجغرافيا النباتية، والوصف الطبيعي، والجيولوجي، والإثنوغرافي، وتأملات المفكر، وتمثيلات رسام الطبيعة، وتصورات الشاعر، وتعداد مراحل مشي القافلة ومدده،... وغيرها من الموضوعات التي ارتبطت دائما بالصحراء الجزائرية.[25]

حاول الدكتور فيليكس جاكو تقديم نظرة عامة حول الطبيعة الجيولوجية للبلاد الجزائرية، لهدف الوصول إلى فكرة ضرورية وهي أن صحراء الجزائر ليست مجرد أرض رملية قاحلة، وليست مبسوطة كبحيرة هادئة، فهي تتنوع ما بين أراض وعرة صخرية قليلة الارتفاع، تنجم عن التلال والهضاب، وطبقات من الرمل الدقيق، ومساحات نادرة قليلة خضراء مزروعة، ولذلك يتضمن كتابه وفق منهجية دقيقة أقسام الأرض الجزائرية جيولوجيا وطبيعيا ابتداء من الساحل ووصولا إلى الصحراء الكبرى، أو ما يسمى بالفلات.[26]

3- التعريف بكتاب "الفرنسيون في الصحراء – يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية" للعقيد ترومللي

يعد كتاب "الفرنسيون في الصحراء الذي يشمل يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية للعقيد ترومللي من بين المصادر الهامة، التي تؤرخ للحملات العسكرية الاستكشافية والاستطلاعية الفرنسية للصحراء الجزائرية بعد كتاب "الصحراء الجزائرية" للمشير دوك دي دوماس، وكتاب الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية" لمؤلفه فليكس جاكو لأنه جاء بعدهما، وهو تتمة لما نظّر له دوماس عن الصحراء الجزائرية، وبدأ عملية التطبيق كافنياك، وجاء من بعدهما ترومللي ليواصل المسيرة العسكرية الاستكشافية والاستطلاعية للصحراء الجزائرية.

من هو ترومللي؟ وما هو الدور الذي قام به في الصحراء الجزائرية؟

- التعريف بالمؤلف (س. ترومللي)

ضابط عسكري فرنسي، وكاتب، التحق يوم **19** جوان **1839**م، بصفوف الجيش الفرنسي متطوعا في الفرقة السابعة للمدفعية وعمره تسع عشرة سنة، منح رتبة رقيب، وتم ترقيته فيما بعد إلى رتبة ملازم سنة **1848**.

قام العقيد ترومللي برحلته إلى مدينة ورقلة سنة **1853**م، التي استعرض فيها قضاياها وأحداثها من خلال كتاب "الفرنسيون في الصحراء - يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية" هو موضوع دراستنا هذه وبفضل هذا العمل رقي إلى رتبة نقيب سنة **1856**م.

كما تولى منصب مساعد رائد ما بين سنتي (**1859-1864**م)، وتم ترقيته إلى قائد كتيبة في نفس الفيلق، ليتولى بعد ذلك قيادة دائرة ثنية الحد بتيسمسيلت في **29** نوفمبر **1868**م. وغيرها من المناصب التي تقلدها إلى غاية تعيينه في **29** ديسمبر **1874**م قائدا للمدفعية الثانية عشرة بالبليدة ورقي في نفس السنة إلى رتبة عقيد.[27]

- التعريف بالكتاب "الفرنسيون في الصحراء - يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية"[28]

يعتبر من أهم المصادر التي درست تاريخ الجزائر المعاصر من جميع جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية وحتى الدينية والثقافية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، يتحدث عن بداية التوسع والزحف الفرنسي في المناطق الجنوبية للجزائر، من خلال الأسباب التي دفعته إلى التوجه نحو الصحراء، ودراسة الشخصيات التي لعبت الأدوار الأولى في مقاومة مشروع الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، الذي نتج عنه فتح أبواب مدينة ورقلة.

حيث وفق الكاتب س. ترواملي في إعطاء دراسة تفصيلية لجميع جوانب هذا التوسع، كما وفّق في تزويدنا بمعلومات دقيقة وفق تسلسل زمني دقيق عن هذا التوسع، ووصف الصعوبات التي أعاقت التقدم الفرنسي وأهم المقاومات التي واجهتهم أثناء تقدمهم.[29]

كما أن المؤلف أشار إلى أهم الأطراف والشخصيات التي ساعدت على تحقيق أهداف التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري.

يتناول الكتاب مسار رحلته التي انطلقت أواخر **1853**م ومطلع عام **1854**م، هذه الحملة العسكرية الاستكشافية للجنوب الجزائري دامت **54** يوما، ذكر فيها تفاصيل دقيقة عن جغرافية المنطقة وساكنيها وعاداتهم وثروتها النباتية والحيوانية، وطرق المواصلات... الخ، وبفضل هذا العمل رقي إلى رتبة نقيب سنة **1856**م.

أما عن أسباب تأليفه لهذا الكتاب فيشير إلى قلة المادة المعرفية عن المناطق الصحراوية، باستثناء أعمال الجنرال دوماس. وم.أ شانسيل والتقارير السكرية المضمنة في الجرائد الرسمية، وهذه المعلومات والمعطيات غير كافية لإعطاء تعريف دقيق عن الصحراء الجزائرية".[30]

كما يؤكد قلة وندرة الوثائق والأعمال الجادة التي تناولت المناطق الجنوبية، وهو ثمرة اعجابنا الحصري... الخ، والهدف من معرفة هذه المناطق هو التوسع على حساب الأراضي الصحراوية، ويرفرف العلم الفرنسي فوقها.

بينما يهدف من كتابه هذا إلى دراسة السكان والمكان وجمع مختلف المعلومات عن المنطقة خدمة للسياسة التوسعية وبسط السيطرة على الصحراء الجزائرية وخيراتها، والتحكم في مختلف الطرق التجارية نحو أعماق القارة الإفريقية.

- الخاتمة

بعد البحث والاستكشاف في الحملات العسكرية الفرنسية على الصحراء الجزائرية **(1845-1854)** من خلال ثلاثة مصادر فرنسية كتاب: "الصحراء الجزائرية" للمشير دوك دي دوماس". وكتاب: "حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية" لمؤلفه فليكس جاكو. وكتاب: "الفرنسيون في الصحراء – يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية" للعقيد ترومليي؛ توصلنا إلى مجموعة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- الحملات العسكرية الأولى باتجاه الصحراء الجزائرية كانت استكشافية استطلاعية للجنوب الجزائري، تهدف إلى اكتشاف جغرافية الجنوب الجزائري وساكنيه، والوقوف على خيراته وأهم الطرق المؤدية إليه، والمنافذ التي تتحكم في العلاقات التجارية مع دول الجوار، والتوغل إلى أعماق القارة الافريقية.

- التواصل والتفاعل مع المجتمع الجزائري في المناطق الجنوبية، لفهمه من الناحية الذهنية، بهدف تسهيل الاحتلال ومساعدته في إدارة الجنوب الجزائري بعد الاحتلال.

- المصادر الثلاثة التي تناولناها بالدراسة والبحث في مداخلتنا هذه مؤلفوها كانوا فاعلين في الحملات العسكرية الاستكشافية والاستطلاعية الأولى، وكلّ مؤلف أتمم عمل الآخر، فكتاب دوماس جمع مادة معرفية متنوعة وغزيرة عن الجنوب الجزائري، وجسّدها في خريطة تقسم الجنوب الجزائري إلى قسمين، ونفّذ القائدان العسكريان حملاتهما العسكرية الاستكشافية والاستطلاعية بناء على تلك المعلومات التي قدمها دوماس، وعليه يمكن القول بأن ما كتبه الثلاثة عن الصحراء الجزائرية، هو عبارة عن حلقة متسلسلة مترابطة، تؤرخ لبداية التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية بعد إحكام السيطرة على السواحل الجزائرية في المرحلة الأولى من الاحتلال.

هذه الحملات العسكرية الاستطلاعية الاستكشافية مهّدت الطريق أمام حملات عسكرية أكثر شراسة واستعمارا فيما بعد كما نجدها فتحت الشهية للأطماع الاستعمارية الفرنسية في الجنوب الجزائري، وأبانت عن خيراته وهو ما جسدته المشاريع الفرنسية الاستعمارية الفرنسية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

خلاصة القول: أن جل المشاريع العسكرية التي تحدث عليها السادة الأساتذة الأفاضل في ملتقانا هذا، مهدت لها الطريق هذه الحملات العسكرية الاستطلاعية والاستكشافية التي تحدثنا عنها، وتجلى ذلك من خلال:

- التعرف على جغرافية المنطقة
- التعرف على إقليمها المناخي والنباتي
- تضاريسها
- الوقوف على التركيبة السكانية القبلية المتواجدة فلي الصحراء الجزائرية، وعلى نشاطهم الاقتصادي، وأهم عاداتهم وتقاليدهم ، والنمط العمراني ..الخ

كما نجد هذه الحملات العسكرية التي تحدثنا عنها هيّأت الأرضية الخصبة ووفرت شروط تطبيق هذه المشاريع الاستعمارية في الصحراء الجزائرية خلال الحقبة الاستعمارية ما بين **(1870-1962)**، وتجلى ذلك من خلال:

- العبور إلى المناطق الصحراوية بأريحية وأمان بعد عملية الاستطلاع والاستكشاف.
- الاستقرار بها.
- التفاعل مع خيرات المنطقة.

- تحديد مصيرها خلال فترة الاحتلال، من خلال السيطرة على خيراتها والتحكم في مختلف مظاهر الحياة الاقتصادية الاجتماعية... الخ.

- قائمة المصادر والمراجع:

- ترومللي، **الفرنسيون في الصحراء الجزائرية – يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية**، ترجمة محمد المعراجي، منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**م، دار غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، **2013**م.

- المشير دوك دي دوماس، **الصحراء الجزائرية**، ترجمة قندوز عبادة فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**م، دار غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، **2013**م.

- فليكس جاكو، **حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية**، ترجمة حليمة بابوش، دار الرائد للكتاب، الجزائر، **2013**م.

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، **1998**م.

- هرباش زاجية، **الصحراء الجزائرية في كتابات المستشرقين الفرنسيين دوماس أنموذجا**، مجلة عصور الجديدة، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، **2012**م.

- جمال حريشة وعلي طالبي، الصحراء الجزائرية في كتابات البعثات الفرنسية بعثة لويس أوجين كافينياك **(1847-1848)** أنموذجا، مجلة الساورة للدراسات الانسانية والاجتماعية، جامعة طاهري، بشار، الجزائر، **2023**م.

- عبد القادر مرجاني، مقاومة شريف محمد بن عبد الله **(1851-1871)** على ضوء كتاب الفرنسيون في الصحراء الجزائرية، مجلة الباحث، مج **12**، ع**3**، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، **2020**م.

- مبارك يحياوي وبلال سليماني، **دراسة كتاب الفرنسيون في الصحراء الجزائرية– يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية" للعقيد ترومل**ي، مذكرة ماستر، جامعة المدية، الجزائر، **2022**م.

- يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب**(1832-1847)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، **1990**م.

(**10**) - huard, p lefebvre, J. L. PLESSIS, francois - felix jacquot (**1819-1857**), communication présente a la séance **1983/12/10**, society Françoise d'histoire de la medicine, p.p.**403-410**.

- الهوامش

(1)- المشير دوكدي دوماس، الصحراء الجزائرية، ترجمة قندوز عبادة فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**م، دار غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، **2013**م.

(2)- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، **1998**م، ج**6**، ص**80-83**.

(3)- المرجع نفسه، ج**6**، ص**83**.

(4)- هرباش زاجية، الصحراء الجزائرية في كتابات المستشرقين الفرنسيين" دوماس أنموذجا"، مجلة عصور الجديدة، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، **2012**، ع**6**، ص**29**.

(5)- التحق ليون روش بجيش الأمير عبد القادر بعد معاهدة التافنة، التي ضمت خمسة عشر بندا، وكان من بينها البند الرابع الذي ينصّ على السماح للمسلمين بالعيش أينما أرادوا، ولهم الحرية المطلقة في الانتقال من دولة الأمير إلى المناطق التي يحتلها الفرنسيون. قرر الالتحاق بجيش الأمير عبد القادر بمقتضى هذا البند، وأظهر لهم بأنه اعتنق الإسلام، وشغل منصب كاتب الأمير عبد القادر ومستشاره، واتخذه رفيقا، وكلّفه بمراقبة جيشه النظامي، وملابسه وأجوره، وولاه مهمة تسجيل أسماء القبائل كلها، وحصر أسماء شيوخها حتى يتمكن من جمع الضرائب بدقة. نجح ليون روش في مهمة جاسوس داخل جيش الأمير عبد القادر، وجمع العديد من المعلومات حول الأمير عبد القادر وجيشه النظامي ومختلف النظم التي شكلها الأمير عبد القادر. كل هذا العمل الاستخباراتي قدّمه للنقيب " دوماس". لمعرفة المزيد. انظر/يوسف مناصرية، مهمة ليون روشفي الجزائر والمغرب(**1832-1847**)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، **1990**م، ص**23- 34**.

(6)- هرباش زاجية، مرجع سابق، ص **29**.

(7)- المرجع نفسه، ص **30**.

(8)- هرباش زاجية، مرجع سابق، ص**31**.

(9)- دوماس، مصدر سابق، ص**29**.

(10)- دوماس، مصدر سابق، ص**30**.

(11)- المصدر نفسه، ص**30**.

(12)- المصدر نفسه، ص**30**.

(13)- المصدر نفسه، ص**30**، **31**.

(14)- المصدر نفسه، ص**07**.

(15)- جمال حريشة وعلي طاليبي ،الصحراء الجزائرية في كتابات البعثات الفرنسية بعثة لويس أوجين كافينياك (**1847**-**1848**) أنموذجا، مجلة الساورة للدراسات الانسانية والاجتماعية، جامعة طاهري، بشار، الجزائر، **2023**، مج**9**، ع**2**، ص**11**.

(16)- المرجع نفسه، ص**12**.

(17) P.huard, p lefebvre, J. L. PLESSIS ,francois-felix jacquot (**1819**-**1857**), communication presente a la séance**10/12/1983**,society Françoise d histoire de la medicine,p.p.**403**-**410**.

(18) فليكس جاكو، حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية، ترجمة حليمة بابوش، دار الرائد للكتاب، الجزائر، **2013**م، ص**15**.

(19) يقصد هنا قطع امداد المقاومات الشعبية التي كانت في المناطق الشمالية من طرف القبائل المتمركزة في الجنوب الجزائري، يأتي على رأسها مقاومة الأمير عبد القادر. للمزيد انظر فليكس جاكو، مصدر سابق، ص**16**.

(20)- المصدر نفسه، ص**16**.

(21)- فليكس جاكو ، مصدر سابق، ص**8**.

(22)- المصدر نفسه، ص**16**.

(23)- المصدر نفسه، ص**8**.

(24)- المصدر نفسه، ص**8**.

(25)- أنساعد سميرة، الصحراء الجزائرية في عيون الرحالة الفرنسيين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، مجلة دراسات، مخبر الدراسات الصحراوية، جامعة بشار، الجزائر، **2012**م، ع**2**، ص**21**، **22**.

(26)- المرجع نفسه، ص**28**.

(27)- لمعرفة المزيد عن شخصيته. انظر/ مبارك يحياوي وبلال سليماني، دراسة كتاب الفرنسيون في الصحراء الجزائرية– يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية" للعقيد ترومللي، مذكرة ماستر، جامعة المدية، الجزائر، **2022**، ص**10**-**14**.

(28)- ترومللي، الفرنسيون في الصحراء الجزائرية– يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية"، ترجمة محمد المعراجي،منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**م، دار غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، **2013**م.

(29)- من بين هذه المقاومات نجد مقاومة شريف محمد بن عبد الله (**1851-1871**). لمعرفة المزيد عن هذه المقاومة. انظر عبد القادر مرجاني، مقاومة شريف محمد بن عبد الله(**1851-1871**)على ضوء كتاب الفرنسيون في الصحراء الجزائرية، مجلة الباحث، مج **12**، المدرسة العليا للأساتذة مبارك الميلي، بوزريعة، الجزائر، **2020**م، ع**3**، ص**325-348**.

(30)- المصدر نفسه، ص**10**.